

تفسير البحر المحيط

@ 299 @ احتمالاً هو قول المعتزلة ، قالوا : الهاء كناية عن ابراهيم لا عن الكافر الذي حابه ، لأن الله تعالى قال : { لَا يَنْدَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } والملك عهد منه ، وقال تعالى : { مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدَ آتَيْنَاهُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُّؤَلَّكَاتٍ عَظِيمًا * الْحِكْمَةَ * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ } ورد قول المعتزلة بأن ابراهيم ما عرف بالملك ، وبقول الكافر : أنا أحيي وأميت ، ولو كان إبراهيم الملك لما كان يقدر على محابته في مثل هذه الحالة ، وبأنه لما قال : أنا أحيي وأميت ، جاء برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر ، ولو لم يكن ملكاً لم يقتل بين يدي ابراهيم بغير إذنه ، إذ كان ابراهيم هو الملك ، ولا يرد على المعتزلة بهذه الأوجه ، لأن إثبات ملك النبوة لإبراهيم لا ينافي ملك الكافر ، لأنهما ملكان : أحدهما : بفضل الشرف في الدين كالنبوة والإمامة . والآخر : بفضل المال والقوة والشجاعة والقهر والغلبة والاتباع . وحصول الملك للكافر بهذا المعنى يمكن ، بل هو واقع مشاهد . . .

وقال الزمخشري : { فَانٍ * قُلَاتٍ } : كيف جاز أن يؤتى الـ الملك الكافر ؟ .
 { قُلَاتٍ } : فيه قولان : آتاه ما غلب به وتسلب من المال والخدم والأتباع ، وأما
 التغليب والتسليط فلا ، وقيل : ملكة امتحاناً لعباده . إنتهى . وفيه نزعة اعتزالية ،
 وهو قوله : وأما التغليب والتسليط فلا ، لأنه عندهم هو الذي تغلب وتسلب ، فالتغليب
 والتسليط فعله لا فعل الـ عندهم . .

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ - إِبْرَاهِيمَ - فِي { هذا من إبراهيم عن سؤال سبق من الكافر ، وهو أن قال : من ربك ؟ وقد تقدّم في قصته شيء من هذا ، وإلاّ - فلا يبتدأ كلام بهذا . . .

واختص إبراهيم من آيات الله بالإحياء والإماتة لأنهما أبداع آيات الله وأشهرها ، وأدلهـا على تمكن القدرة ، والعامل في إذ حاجّ ، وأجاز الزمخشري أن يكون بدلاً من : أن آتاه ، إذاً جعل بمعنى الوقت ، وقد ذكرنا ضعف ذلك ، وأيضاً فالطرفان مختلفان إذ وقت إيتاء الملك ليس وقت قوله : { رَبِّىَ السَّذِىُّ يُحْمِىْ وَيُمِيتُ } وفي قول إبراهيم : { رَبِّىَ السَّذِىُّ يُحْمِىْ وَيُمِيتُ } تقوية لقول من قال إن الضمير في قوله : في ربه ، عائد على إبراهيم . .

وربي الذي يحيي ويميت ، مبتدأ وخبر ، وفيه إشارة إلى أنه هو الذي أوجد الكافر ويحييه

ويميته ، كأنه قال : ربي الذي يحيي ويميت هو متصرف فيك وفي أشباهك بما لا تقدر عليه أنت ولا أشباهك من هذين الوصفين العظيمين المشاهدين للعالم اللذين لا ينفع فيهما حيل الحكماء ولا طب الأطباء ، وفيه إشارة أيضاً إلى المبدأ والمعاد وفي قوله : { أَلَمْ تَرَ إِلَـهَ } دليل على الاختصاص لأنهم قد ذكروا أن الخبر ، إذا كان بمثل هذا ، دل على الاختصاص ، فتقول : زيد الذي يصنع كذا ، أي : المختص بالصنع . .

{ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ } لما ذكر إبراهيم أن ربه الذي يحيي ويميت عارضه الكافر بأنه يحيي ويميت ، ولم يقل : أنا الذي يحيي ويميت ، لأنه كان يدل على الاختصاص ، وكان الحس يكذبه إذ قد حيي ناس قبل وجوده وماتوا ، وإنما أراد أن هذا الوصف الذي ادعيت فيه الاختصاص لربك ليس كذلك ، بل أنا مشارك في ذلك . قيل : أحضر رجلين ، قتل أحدهما وأرسل الآخر ، وقيل : أدخل أربعة نفر بيتاً حتى جاعوا ، فأطعم اثنين فحيا ، وترك اثنين فماتا ، وقيل : أحيا بالمباشرة وإلقاء النطفة ، وأمات بالقتل . .

وقرأ نافع بإثبات ألف : أنا إذا كان بعدها همزة مفتوحة أو مضمرة . وروى أبو نشيط إثباتها مع الهمزة المكسورة . وقرأ الباقر بحذف الألف ، وأجمعوا على إثباتها في الوقف ، وإثبات الألف وصلًا ووقفًا لغة بني تميم ، ولغة غيرهم حذفها في الوصل ، ولا تثبت عند غير بني تميم وصلًا إلاَّ في ضرورة الشعر نحو قوله : % (فكيف أنا وانتحالي القوافي % . بعد المشيب كفى ذاك عاراً .

%)